

إريك فروم نحو أنسنة التكنولوجيا وتبني قيم الحب والوعي الإنساني

Erch Fromm Toward The Humanization of Technology and the adoption of the Values of Love and Humans Awareness

1 مروة سباع*

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)،

مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر

m.sebbagh@unv-chlef.dz

2 محمد عجّوط

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر) adjoutemohamed@gmail.com

تاريخ الارسال 2025-01-29 تاريخ القبول 2025-02-19 تاريخ النشر 2025-09-16

ملخص:

تناقش هذه الدراسة العلاقة الجدلية القائمة بين التكنولوجيا والانسان في حقبة الحداثة والمجتمع الصناعي، حيث شهد العالم خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية أزمات متفاقمة جراء التطور السريع الذي فرضه العقل الآلي، جعل من الأسئلة الفلسفية تُطرح على أوسع نطاق، بُغية الوصول إلى حلول تنتشل المجتمع الصناعي من الظلام الذي فرضته التقنية من اغتراب، واستلاب، وتشويه. ومن بين الفلاسفة الذين تناولوا موضوع الحداثة بالنقد وهو من أبرز ممثلي المدرسة النقدية الفيلسوف والمحلل الاجتماعي إريك فروم (Erich fromm)، وتتسم أهمية هذه الدراسة بالإحاطة بالاطار الفلسفي الذي طرحه فروم من أجل بثّ أمل جديد لاستعادة القيم الإنسانية وسمات الحب التي سلبتها التقنية أو ما يعرف بأنسنة التكنولوجيا ونقدها للاغتراب الإنساني لتحقيق النتيجة الحاسمة ألا وهي تحقيق مجتمع سوي وموازنة الكينونة والامتلاك مع مراعاة الدور البارز للقيم الأخلاقية التي تعزز من حرية الأفراد وعلى إثر هذا السياق نطرح إشكالية البحث: ماهي الآليات التي يمكن من خلالها تحقيق التوازن التكنولوجي وبناء مجتمع إنساني سوي وفق إريك فروم؟

الكلمات المفتاحية: إريك فروم، التقنية، الاغتراب، المجتمع الصناعي، أنسنة التكنولوجيا.

Abstract:

This study looks at the dialectical relationship between humans and technology in the context of industrial society and modernity. In the years following World War II, fast technological developments enforced by instrumental rationality led to a growing number of crises. Numerous philosophical investigations were spurred by these advancements with the goal of saving industrial society from the "darkness" that technology was sustaining, which was manifested in the form of estrangement, alienation, reification, and the loss of human

agency. One well-known member of the Frankfurt School of critical theory and a distinguished social analyst, Erich Fromm, is one of the philosophers who critically dealt with modernity. This study is important because it examines Fromm's philosophical framework, which aims to restore humanistic values and the core of love—qualities that technology has taken away. In this context, the study poses its main research question: What strategies might be used to attain technological balance and build a balanced, compassionate society in line with Erich Fromm's critical vision?

Keywords: Erich Fromm, Technology, Alienation, Industrial Society, Humanization of Technology.

1. مقدمة:

إنّ الأسئلة الفلسفية كانت ولا تزال المرآة التي تعكس مختلف القضايا الفكرية والعلمية، وخاصةً الأسئلة الأخلاقية وكلّ ما يتعلّق بخدمة الإنسان على مرّ العصور، ومن بين أهم القضايا التي شغلت بال المفكرين وطُرحت في العصر الحديث وخاصةً المعاصر نجد موضوع الحداثة (Moderniy) الذي يمثل انتقالاً جذرياً في حياة الإنسان وخاصةً المجتمعات الغربية، فكانت الحداثة سبّاقة إلى الخروج بالإنسان الغربي من عصر الظلمات إلى عصر الأنوار عن طريق العقلانية العلمية التي نادى بها المنهج التجريبي كأساس لفهم الحياة والطبيعة من حوله، وتحقيق ذروة التطور عن طريق التجارب التي فرضتها التقنية، خاصة وأن هذا التطور لم يخدم المجتمعات الغربية على حدّ سواء.

بل كان في متناول فئة معيّنة فقط، ناهيك عن الاستخدام الضار الذي فرضه العلم خاصة الأسلحة التي سببت الدمار الشامل ونتج عنه حرب عالمية بل اثنتين، ولا تزال الحروب قائمة بل تعدت إلى حروب بيولوجية، وهو ما جعل من "الحداثة مشروع لم يكتمل بعد" على حدّ تعبير فيلسوف التواصل يورغن هابرماس (Jurgn Habermas)، ومن خلال هذا التسارع التقني ظهرت أسئلة فلسفية كثيرة على حساب اختلاف مشارب مفكرين من علماء وفلاسفة ومحلّلين نفسانيين، ومن بين الأسماء البارزة التي طرحت أسئلة عميقة حول فلسفة التقنية خاصة في العصر المعاصر نجد فيلسوف الأمل والكينونة إريك فروم (Erich Fromm)، الذي تساءل حول التقدم التكنولوجي وضمان خدمة التقنية للإنسان أو سلبها حريته وتعرضه للاغتراب عن ذاته وعن الآخرين.

وراح يبحث عن الحلول التي تنتشل المجتمعات الصناعية من وحل التقدم الذي فرضه العقل الأداتي واغتيال به الطبيعة البشرية والوجود الإنساني، حيث نادى فروم بأنسنة التكنولوجيا (Humanization of Technology) خدمة للإنسان لا للوقوف ضده، بيد أنّها من انتاج عقله فلا يعقل أن تغدر به وتجعل منه مستلب مشتت حتى وسط مجتمعه، ولكي يكتمل مشروع الحداثة سلط فروم دراسة سيكوسوسيولوجية على المجتمع الصناعي وتناول فيها كل المفاهيم التي تركت الفرد منعزلاً حتى عن ذاته، واتخذ من فنّ الحب، والقيم، والأخلاق سبيل الخلاص ومن خلال هذه الورقة البحثية نبين أبرز ما جاء في تحليل إريك فروم حول أنسنة

التكنولوجيا وإعادة الاعتبار لقيمة الانسان في مجتمع ينبذ كل تعاليم الدين والأخلاق، وعليه نطرح إشكالية البحث كالتالي: كيف تساهم أنسنة التكنولوجيا في تحقيق مجتمع سوي أخلاقي وفق إريك فروم؟ والهدف من هذه الدراسة هو تحليل أفكار فروم وفلسفته في أنسنته للتكنولوجيا وأهميتها في ضبط التسارع التقني مستقبلا وتصور استشرافي لمستقبل الانسان في ظل التطور التكنولوجي، متبّعين في ذلك المنهج النقدي التحليلي للوقوف على أهم أفكاره في نقده وتحليله للتكنولوجيا خاصة وأن فروم من رواد المدرسة النقدية ومحلل سيكولوجي.

2. التكنولوجيا وفقا لفروم فرصة أم تهديد؟

غني عن البيان أن التكنولوجيا (Technology) لاقت حظا وفيرا من اهتمام المفكرين والفلاسفة، حيث يطرحون انشغالهم بها ومدى تأثيرها على الفرد والمجتمع خاصة وأنها أصبحت وسيلة تقنية (Technological Tool) تسهل كل ما يصعب إنجازها وتأثيرها الكبير على مختلف الجوانب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية والثقافية منها، ولا أحد ينكر أنها حسّنت بشكل كبير في جودة الحياة بكل معاييرها خاصة الزيادات الإنتاجية التي فرضتها الرأسمالية في المجتمعات الصناعية على كل الأصعدة. كما أنها جعلت العالم قرية صغيرة متصلة ببعضها البعض عن طريق تطبيقات التواصل التي تتيحها الأنترنت، وبشكل فعال ساهمت التكنولوجيا على الابتكار وتطوير الاكتشافات إلى أن أصبح الانسان الغربي يحلم بالعيش في الفضاء والسيطرة على العالم إلى غاية الذكاء الاصطناعي، ولكن هذا الترف الذي سلّطته التكنولوجيا على إنسان العصر الحديث والمعاصر (The Modern Man) بشكل خاص جعلها تخرج من ثوبها الفضفاض -الخادم المخلص- الذي يعزز رفاهية الانسان وتسهيل طريقة عيشه إلى ثوب ضيق يغتال إنسانية الأفراد والمجتمعات وسلبها لحمتها وعرضها للاغتراب (Alienation) لاسيما في ظل ما خلفته الحداثة (Modernity)، وما جاء في رحاب الثورة التي أُعلنت على العقل الإنساني، وما شهدته من تفكك وتشييؤ (Reification) بلغة جورج لوكاش (George Lukach) فيصبح الاغتراب حالة نفسية تؤثر في وجودية الأفراد وتفقد حس الإنسانية من كل معانيه، وهو بدوره ما أدى إلى تفكك العلاقات الإنسانية وتصدها في العالم المعيش.

في هذا المقام نجد الكثير من الفلاسفة والمفكرين قد عبروا عن استيائهم جراء ما جاء في رحاب الثورة الصناعية (Industrial Revolution) وخاصة رواد المدرسة النقدية الذين انتقدوا بشكل لاذع ما جاء في ظل الحداثة، فقد أخذوا من النقد سمة أساسية لطرح أفكارهم خاصة ما احتوته كتب جدلية التنوير والانسان ذو البعد الواحد، فالتنوير الذي نادى بالعقلانية وتحرير الانسان من هيمنة الكنيسة انتهى به المطاف إلى استعمار التكنولوجيا، بينما البعد الواحد جعل من الانسان المعاصر محدود التفكير بمنظور ضيق كما يفرضه عليه النظام

الرأسمالي، ولعل أبرز من قدم نقدا لادعا للتكنولوجيا فيلسوف الأنسنة إريك فروم (Erich Fromm)*¹، الذي ساهم بشكل فعال في انتشار المجتمعات الغربية من مآزق التقنية، ولو أنه لم ينكر فضلها في التطور الذي حرر الانسان من العصور الوسيطة، باعتبارها - التكنولوجيا - فرصة وحلقة فاصلة في تاريخ البشرية إذا تم استغلالها بشكل أخلاقي يخدم القيم الإنسانية (Human Values) ويراعي شروط التعايش والتداوت حققت بذلك رفاهية ممكنة للمجتمعات والأفراد .

وإذا لم يتوفر هذا الشرط الأساسي حسب فروم فإن الانسان يصبح عاجزا خاضعا للاستهلاكية (Consumerism) وبهذا تصبح التكنولوجيا تهديدا مباشرا ووسيلة لتعزيز الاعترا ب خاصة اغتراب الفرد عن نفسه وعن المجتمع، و ينتقل من الذات الحقيقية إلى الذات الزائفة فيصبح الانسان العصري وحيد وقلق جراء ما طرأ عليه من خلال الإنتاج الصناعي الذي زاد وتيرة القلق والحيرة خاصة الخوف من الحرية (The Fear if Freedom) التي تجعله خائف من تحمل مسؤولياته، يستوضح فروم حول ما إذا كانت الحرية مشقة متعبة لدرجة لا يستطيع المرء التمتع بها بشكل غير مكلف ثم لماذا تعتبر الحرية عند الكثيرين هدف وعند الآخرين تهديد؟² في تحليله عن الخوف من الحرية قام بالتحليل السيكولوجي الاجتماعي لمجتمعات ما بعد الحداثة وخاصة تبعات الفاشية والنازية التي تركت الأفراد منقسمين نتاج العنف والاضطهاد السلطوي وقد استنتج أن الأنظمة الاستبدادية نجحت في سلب حرية الأفراد نتيجة الخوف اللاذع من اتخاذ القرارات المستقلة واكتفائهم بالخضوع والانقياد خوفا من تحمّل المسؤولية.

3: الاستلاب في عصر التقنية؛ هل نحن نفقد إنسانيتنا في ظل الرأسمالية؟

يعد مفهوم الاستلاب (Alienation) واحد من أبرز الأسس الفكرية في فلسفة إريك فروم حيث أصبح قضية محورية بالنسبة إليه يسعى جاهدا إلى استرجاع مكانة الإنسان في ظل هيمنة العقل الأداتي الذي أصبح يشكّل خطرا مركزيا على قيم الإنسانية، ثم إن الاهتمام الزائد الذي أولاه الانسان بالتقنية واعتبره الفتح الأعظم في مسيرته كيف لا وقد أغدقته في تسريع الإنتاج ضمن العديد من المجالات الصناعية، و جعلته يبلغ ذروة التقدم بدون قيود إلى أن أصبح هو والشيء سواسية وتتجلى خطورة هذا الأمر في تجرد الانسان من إنسانيته بل هو

¹* إريك فروم واحد من أبرز المفكرين الذين تركوا بصمتهم في المجال النفسي والاجتماعي والديني وكلها فلسفية على حد سواء، وهذا راجع للكثير من الأسئلة التي شغلت باله خاصة من مخلفات المجتمع الصناعي وما فرضته التقنية وهيمنة التكنولوجيا على الانسان المعاصر، حيث يندرج اسمه ضمن المقاربات النقدية والاهتمام بالمشكلات الاجتماعية والنفسية التي اشتغلت عليها مدرسة فرانكفورت، فقد كان اسما بارزا في المعهد مع بداياته إلى جانب تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر وهربرت ماركوز، "ولد إريك بينشاس فروم Erich Pinchas Fromm في عائلة يهودية أرثوذكسية بمدينة نيويورك 23 آذار/مارس عام 1900 بمدينة فرانكفورت الألمانية. وقد كان وحيد والديه، اللذان كانا يودان أن يصبح حاخاما. (...) حصل فروم على الدكتوراه في الفلسفة، ثم تفرغ للتحليل النفسي على يد المحللة النفسية الألمانية المعروفة فريدا راينمان Frieda Reichmann، وبعدها على يد فيلهيلم فيتينبيرغ Wilhelm Wittenberg بمدينة ميونخ"، وقد دفعته الظروف كغيره إلى الهجرة إلى أمريكا وتقلد مهنة الأستاذية في العديد من الجامعات الأمريكية خاصة علم النفس في نيويورك، اختار فروم سويسرا كوجهة للعيش واكمل باقي أيامه وتوفي بها سنة 1979.

تشجيع لموته آليا وهذا ما أكده فروم في قوله: " إذا أصبح الإنسان شيئا، فإنه سيموت على الرغم من أنه حي فيزيولوجياً. وإذا مات الإنسان نفسياً على الرغم من أنه يحيا جسدياً، فإنه يقاد إلى السقوط ويصبح خطيراً على نفسه وعلى الآخرين." ³، إن الموت الفيزيولوجي يشكل بطريقة أو بأخرى الموت النفسي والاجتماعي للأفراد حسب إريك فروم نظراً للاستلاب الذي طغى على المجتمعات الاستهلاكية و يتساءل عن مستقبل البشرية خائفاً من تدميرها.

و الحديث عن مستقبل الانسان الغربي المعاصر أو لنقل إن كان له مستقبل من الأساس ولا نخص بالذكر المعاصر منه فقط بل الانسان عموماً فالحياة تستمر ويستمر عصر ما بعد المجتمع الصناعي وستبقى هذه الأسئلة تراود الانسان ولنخص بالذكر أن القنبلة الذرية هي أشد أمراض العصر ومصطلح الانسان العصري لا ينطبق على الغرب وأمريكا فقط كيف لا وهي تصدر لهم سلعتها ويزدادون تأثراً بها ليس فقط بالأفكار بل بالتقنيات كذلك وهو ما يجعل جل المجتمعات مريضة ⁴ وبهذا تكون الحداثة الرأسمالية قد طبقت مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة" وأصبحت المجتمعات المعاصرة تدور في دائرة ضيقة جداً تقيّد حرياتها و تفرض عليها التقنية أنماطاً محددة تسير وفقها، ثم إن مخلفات الحربين العالميتين على المجتمعات الصناعية فتحت أبواب العدوانية والتدميرية فصارت الحروب والاستعمارات على أوسع نطاق جراء التطور في التكنولوجيات العسكرية ووسائل الحرب أو ما يطلق عليه (السباق العسكري نحو التسليح) التي ساهمت في التدمير خاصة الشعوب الضعيفة وهذا ما نراه جلياً في المستعمرات الأفريقية والشرق الأوسط وحتى في الحربين العالميتين الأولى وخاصة الثانية التي تمخض عنها مفهومي السادية والمازوكية "فالسلوك العدواني للإنسان كما يتجلى في الحرب، والجريمة، والمشاجرات الشخصية، وكل أنواع السلوك السادي والتدميري ناجمة عن غريزة فطرية مبرمجة حسب تتابع النشوء تسعى إلى الانطلاق وتنتظر الفرصة المناسبة لتعبّر عن نفسها" ⁵.

يتناول فروم هذين المفهومين ببعديهما النفسي والاجتماعي في إطار الخوف من الحرية التي يفرضها الاستلاب كون السادي يثبت وجوده بتسيده على الآخرين خاصة في العلاقات السياسية والاقتصادية والمازوكي يتعرض للسيادة والطوعية هروباً من تحمله للمسؤولية، نجد بشكل جلي أن هذه المفاهيم نتجت عن الأنظمة الشمولية بمظهر صريح وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على الخضوع لسلطة التقنية واغوائها كما كان أدلف هتلر (Adolf Hitler) سيّد النازية متطرّف بتطبيقه ممارسات التعذيب والقسوة، خاصة وأن التقنية ساهمت في تطوير الكثير من آلات الحروب ولعل أقبحها القنابل، وبالتالي يستسلم الفرد للاستلاب "والانسان المستلب هو ذاك الذي لم يعد قادراً على جلب القوة من حياته الفيزيائية والروحية والفكرية، ولم يعد قادراً على خلق هذه القوة من ذاته وفي ذاته" ⁶، ولم يقتصر الاستلاب عند فروم من التقنية فقط بل ربطه كذلك بالاستلاب الديني، حيث

أكد في كتابه الانسان المستلب أن الدين السلطوي يساهم بشكل كبير في تعزيز السادية والمازوخية فيتحول بذلك إلى أداة للسيطرة والخضوع ويفقد الانسان ثقته بنفسه وجوهره فيصبح عبداً لهذا الدين الذي يفرض عليه سلطته الكلية ويُفقد حريته كما يشعره بالعجز ويربطها بالدين التسويقي مؤكداً على استغلال الجماعات الدينية للإشهار حيث يقدم الدين نفسه على شكل برامج ترفيهية تسلب الأفراد وجودهم وتوهمهم بالاحتياجات الناقصة في حياتهم عن طريق الإعلانات فيصبح الدين حسبه معاملات تجارية لبيع الأفكار المروّجة على أساس ديني⁷.

وعلى هذا الأساس يميّز فروم بين الدين السلطوي والدين الإنساني الخلاق باعتبار الأول مصدر استلاب لإنسانية الأفراد والمجتمعات والثاني الحل الذي فرضه من أجل مراعاة الأخلاق ونمو الوعي الإنساني والشخصي ورفض كل الأسباب السلطوية التي تسلب قوّتهم الروحية وتضعف قيم التسامح والإخاء والعدالة، "والتجربة الدينية في هذا النوع من الدين (ويقصد الدين الأخلاقي) هي تجربة الاتحاد بالكل، القائمة على ارتباط الانسان بالعالم ارتباطاً ندركه بالفكر والحب، والفضيلة هي تحقيق الذات، لا الطاعة، والایمان هو يقين الاقتناع المؤسس على تجربة المرء في مجال الفكر والشعور، لا على تصديق قضايا وفقاً لزمة المتقدم بها، على حين أن المزاج السائد في الدين التسلطي هو الحزن والشعور بالذنب"⁸.

4: الأمل في الأنسنة وتجاوز الاغتراب: في البحث عن الإنسان وسط عالم الآلات؛ من المجتمع المريض إلى المجتمع السوي:

يطرح فروم "السؤال الحاسم تاريخياً ما إذا كان الإنسان سيصبح مرة أخرى سيد إبداعاته أو سيهلك في عالم صناعي مفرط التقنية"⁹، وللبحث عن الفرج الناتج لتأزّمت المجتمع الصناعي، راح فيلسوف الأمل يبحث عن السُّبل التي تقيد هيمنة التكنولوجيا وتحد من أزمة الهوية التي لازمت مجتمعات العصر الراهن وجعلت من الانسان مجرد ترس في آلات كبيرة اختزلت وجوده في الاستهلاك والصنمية، حيث أصبح أدواتها بامتياز فاقداً بوصلته الإنسانية وسط زحام التصنيع والآلية، من هنا انبثق صوت إريك فروم داعياً إلى أنسنة تكنولوجيا متأملاً في إعادة بناء مجتمع مستقر ومتوازن، يحاول من خلاله إعادة تعريف لعلاقة الانسان بالتكنولوجيا، واختزل هذا الأمر في الحاجة الماسة لتجاوز كل أشكال الاغتراب التي شاركت بشكل فعال في قتل المبادئ الأخلاقية التي تجرّدت منها المجتمعات ما بعد الصناعية.

بل جعلت من الانسان معادٍ لإيمانه وقيمه و حسب فروم فقد آن الأوان للبحث عن مجتمع يليق بقيم الانسان تكون فيه كرامته محفوظة قادراً على تحقيق عيشة كريمة وفق ما تفضيه قيم الحب والتآزر والإخاء، متجاوزاً بذلك الأنماط الاستهلاكية والاغتراب التي امتازت بها المجتمعات الحديثة والمعاصرة خاصة، إنه المجتمع السوي أو الإنساني الذي ينادي به فروم بحيث يتركز على قيم الحب وفنّه وعلى التضامن الإنساني، مجتمع سلط فيه بنية

التحليل النفسي الاجتماعي بغية فهم النفس البشرية وخاصة المجتمعات الصناعية، فالصواب من منظوره هو استقراء الأبعاد الاجتماعية والنفسية، والتاريخية للأفراد على عكس التحليل الذي نادى به فرويد.

حيث اعتبر أن الازمات التي يعاني منها الأفراد نتيجة لمكبوتاته وصراعاته الداخلية بين الهو (Id) و الأنا (Ego) و الأنا الأعلى (Supergo)، وعلى النقيض من ذلك ينادي فروم بأن التآزمات التي يعاني منها المجتمع المعاصر ناتجة عن التقدم التقني السريع الذي فرضته الحداثة، وهذه الازمات ليست فردية فقط على حد سواء بل هي اجتماعية وذلك من خلال تحليله للشخصيات الاجتماعية لأنها تتشارك في المحنة التي فرضتها التكنولوجيا غير المؤنسنة، وبالتالي يستطيع الفرد تحقيق وجوده داخل مجتمع متوازن فيرجع إليه الإحساس بالكينونة، بدل الإحساس بالاستهلاك وكأنه سلعة مثله مثل السلع المنتجة ويستغل التكنولوجيا لصالح الإنسانية بناءً على ذلك يسعى فروم إلى تحقيق مشروع تكنولوجيا إنساني أو ما يسميه بأنسنة التكنولوجيا لإحراز مجتمع مستقر بأبعاده الإنسانية والقيم التي تنادي بالأخلاق، وفي إطار الفلسفات التطبيقية يسعى فروم إلى تسخير التقنية لخدمة الأفراد والمجتمعات بالشكل الخلاق الذي لا يجعل من الفرد مغتربا عن مجتمعه بل وحتى عن ذاته وعلى هذا الأساس يبنى فروم المجتمع السوي الذي نادى به ومن أجل سبر أغوار هذا المجتمع من خلال أنسنة التكنولوجيا لا بد من التفاتة ملحة نتناول من خلالها تجاوز فروم لنظرية الاغتراب باعتبارها جزءاً مهم وركن أساسي في تحليله للمجتمع الصناعي. حيث أن ظاهرة الاغتراب ليست وليدة النشأة، بل نجدها لازمت وجود الانسان منذ اغتراب آدم عن الجنة تماشياً مع بداية القرون الأولى إلى غاية الراهن، و مع مطلع منتصف القرن العشرين تزايد الاهتمام بهذه الظاهرة - الاغتراب - وأصبحت محط اشتغال الكثير من المفكرين وخاصة الفلاسفة، اللذين أولوا اهتماماً خاصاً به، وذلك راجع لما خلفته التقنية وما شنته سلطة الأدوات في حقب ما بعد الحداثة، من أجل إيجاد حلول لهذه الازمات التي تفاقمت مع المجتمعات الصناعية والرأسمالية ومعالجة هموم المجتمع المعاصر،

وإذا ما حفرنا عن تداول ظاهرة الاغتراب نجدها أخذت حظها الأوفر خاصة في العصر الحديث عند كل من هيجل حيث جسد ظاهرة الاغتراب في علاقة الذات والموضوع، وفيورباخ الذي أرجع ظاهرة الاغتراب إلى الدين وأن الانسان قد اغترب عن ذاته مقابل الألوهية وسلب الدين ذاته ولا بد أن يتحرر منه ويعيد مكانته في المجتمع، وكارل ماركس الذي تأثر بمفهوم الاغتراب من خلال معلميه هيجل وفيورباخ وطور من مفهومه وأرجع أسبابه إلى اغتراب العامل عن المنتج وعن العمل بذاته باعتباره ابداعاً وتعبيراً عن الحرية الإنسانية إلى كونه مجرد وسيلة للبقاء¹⁰، وبهذا تعد أزمة الاغتراب كابوس المجتمعات المعاصرة حيث اعتبرها فروم أزمة ناتجة عن اللاوعي واللامعقول فاتخذ من النقد السبيل لفضح مزالق الحداثة وسياسة المجتمع الرأسمالي وقد فضح ستار هذا التطور في معظم كتبه التي تناولها كفسلفة للتقنية من أجل معالجة المجتمعات المريضة التي نتج عنها التأثير السلبي للتقنية والاستخدامات المعادية للإنسانية فجعلت من الفرد مغتربا مهمشاً في عالمه، حيث تعتبر التكنولوجيا شبحاً كما

يصفها فروم كما أنها أنتجت مجتمعا آلي يدار بالكمبيوتر إنه إنسان نصف آلي تقوده برمجة الكمبيوتر ينتج ويستهلك فقط تستعمر وجوده الأسلحة النووية إنسان ليس له قرار فقط تابع للسلطة التي تقوده بشكل تقني بعدما كان هذا الإنسان سيّد على الطبيعة أصبح غارق فيما أنتجه عقله الإنساني فقد أصبح يستهلك سلعة تقوده إلى الموت حتما¹¹

كما أن التّقيّة شاركت في تعزيز الطابع الاستهلاكي والافراط في الماديات خاصة وأنها ساهمت بشكل كبير في تسليع القيم الإنسانية وتجريدها من الطابع الأخلاقي وتوتّر العلاقات الإنسانية فيما بعضها، وهو ما نتج عنه الطابع النيكروفيلي التدميري حسب تحليل فروم النفسي للشخصيات التي تأزمت عقب المجتمع الصناعي حيث النيكروفيلي هو ذلك الفرد الذي يستهويه كل ما هو جامد وثابت وينبذ كل ما هو حيوي طبيعي وحسب تحليل فروم النيكروفيليا كطابع مدّثر تتولّد عن تراكم الأسلحة النووية إنها الجواب الوحيد للحياة الذي يتعارض مع الحياة، وهي واحدة من بين النقاط التي شكّلت المجتمع المريض في طي الاغتراب ولإنتاج مجتمع سوي يدعو فروم إلى تنشئة الانسان الجديد الذي يأخذ على عاتقه مهمة الأمل في الأنسة¹² كما يؤكد على أهمية الوعي الذاتي كونه ملكة أساسية في بلورة الابداع وجسر وطيّد لإنشاء اللّحمة الإنسانية بين الأفراد قائلاً "أؤمن بأن الفهم والادراك الممكن للعالم هو الذي يمكن أن يكون فيه الانسان أكثر ثراءً حتى لو كان يمتلك القليل. عالم لا يكون فيه الاستهلاك هو الدافع المسيطر في الوجود. عالم يستطيع فيه الانسان إيجاد طريقة تعطي حياته هدفا كما تعطيه أيضا القوة ليعيش حرا دون أوهام"¹³، تهدف فكرة فروم إلى موازنة بين الإنتاج والاستهلاك حتى يستطيع الفرد تحقيق ذاته وبعده الأنطولوجي وعدم تمجيده للمادة على حساب كرامته وإنسانيته، ومن أجل مجتمع سوي مترابط يدعو فروم إلى الحب في كل مستويات الحياة باعتبار الحب ذلك الشعور الإنساني النبيل الذي يخلّصنا من قهر الاغتراب.

1.4 فن الحب كدعامة أساسية لتحقيق أنسنة الفرد والمجتمع في سياق التحولات المعاصرة تبعا لتحليل فروم:

يقول إيليا أبو ماضي في قصيدته كم تشتهي:

"إنّ نفساً لم يشرق الحبُّ فيها هي نفسٌ لم تدرِ ما معناها

أنا بالحبِّ قد وصلْتُ إلى نفسي وبالحبِّ قد عرفت الله"

من خلال أبيات إيليا أبو ماضي نستنتج أن الحب واحد من المفاهيم الأساسية التي تساهم في فهم الحياة الإنسانية ووجودية الأفراد وعمقهم الذاتي بحيث يكون الرابط الأساسي الذي تبني عليه المجتمعات، لأن الحب لم يكن يوما نزوة عابرة أو شعور مؤقت وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات البينات التي تدل على أهمية وجود الحب في الحياة الدنيا كونه وسيلة لتحقيق السلام بين الناس لأنه يخلق جو من الاحترام المتبادل بينهم ويحقق

السلام ويعزز من ارتقاء القيم الإنسانية يقول الله عز وجل { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }¹⁴ وتبين الآية الكريمة حب الله تعالى لمن يتعاملون بالطيبة مع الآخرين دون انتظار مقابل أو مكافأة وإخلاص النية في أعمالهم.

وفي ظل السرديات التي أفرزتها ما بعد الحداثة كما يؤكد فراونسوا ليوتار (Francois Lyotard) وقع الانسان في غوغاء الأنانية وعبادة المادة التي فرضتها التقنية فرضا صارما، صار الحب منعما بين أفراد المجتمع الصناعي حب غير مستقر مبني على كل أنواع المصلحة والمتعة اللحظية أو لنقل حبا سائلا على حدّ تعبير زيجمونت باومان (Zygmunt Bauman) لهذا يؤكد فروم على تبني فن الحب لاستعادة كينونة الإنسان من رحاب التملك باعتباره الطريقة المثلى لانتشال المجتمعات من متاهة التقنية، فالحب من أرقى المشاعر النبيلة التي يحس بها المرء في حياته وعلى هذا الأساس يتساءل فروم: "هل الحب فن؟ إذن فإنه يقتضي معرفة وبذل جهد. أم هل الحب إحساس باعث على اللذة وأن ممارسة هذا الإحساس مسألة ترجع إلى الصدفة، وأنه شيء " يقع" الانسان فيه إن كان محظوظا؟"¹⁵ من خلال هذا التساؤل الذي طرحه فروم في كتابه فن الحب يبين للمتلقي أن الحب ليس بالشيء الهين أو حب اللذة والمتعة إن الحب أسمى من هذا بكثير بيد أنه القدرة على الشجاعة والتحلي بالإيمان والنضج.

ومفهوم الحب ليس أن تكون طرفا محبوبا بل أن تكون لك المقدرة والدراية على الحب دون مقابل، أن تحب معناه أن تكون لك روح المسؤولية وتتجنب حدود المصلحة وغيرة الأنانية التي فرضتها الماديات وسلبت روح الإخاء من الإنسانية، ويندد فروم على أن الحب فن لا يتقنه الجميع، لا يتقنه حتى الانسان الناضج إلا إذا أراد تحقيق شخصية قوية ويضع نصب عينه هدفا متينا كحبه لجاره وكونه متواضع ناصر للحق هكذا يكون أقرب إلى كونه إنسانا يحمل القيم السامية التي تجعله فردا مميزا في مجتمعه، وأي مجتمع؟ مجتمع مادي مهووس بالسلعية وتحقيق التطور ولو كلفه ذلك أنطولوجيته وأخلاقه، يسبح في نظام اقتصادي مجرد من كل آليات التواصل وفن العيش، وإفراطه في الاستخدام الأناني للتكنولوجيا، أدى إلى تفريطه في قيمه وصار سيل لا ينقطع منجرف نحو تيارات الآلية الصنمية.

لهذا يؤكد فروم على اتخاذ الحب سبيلا كركن أساسي من أركان فن العيش فيقول: "أؤمن بأن الحب هو المفتاح الأساسي لنمو الإنسان"¹⁶ ولتحقيق هذا النمو يطالب فروم بإصلاح حال الفرد من أجل تحقيق مجتمع رصين لأن الفرد ابن مجتمعه، وهو القادر على تفادي كل الصراعات التي تتيحها الاستهلاكية خاصة "صدام الحضارات" الذي يفضي إلى نبذ باقي الحضارات وصولا إلى "نهاية الانسان" إنها نتيجة حب الامتلاك الدفية في روح الرأسمالية، إن فن الحب يجعل من الفرد محارب يأخذ على عاتقه الوصول بالمجتمعات المريضة إلى بر الأمان.

5. خاتمة:

كتخريج عام لما سبق ذكره ننتهي إلى أن المجتمع الصناعي قد شكّل فجوة عميقة في حياة الأفراد الغربية وغير الغربية ولو أنه لم يكن بنفس الوتيرة، إلا أن سلطة التقنية شارفت على نهاية الإنسان بالمفهوم الفوكويامي، وأن الاستهلاك جعل من الإنسان مجرد مستهلك تجرّه المادة إلى جرف الجشع والطمع، وعلى إثر الأسئلة الفلسفية التي طرّحت في حقبة الحداثة اهتم المفكرين والفلاسفة بإعادة البعد الإنساني القيمي إلى بوتقته باختلاف مشاربهم الفكرية، وعلى اعتبار أن النقد هو السمة الأساسية لتطور الأفكار والمعارف انتهج إريك فروم طريق المدرسة النقدية لاستكمال مشروع الحداثة، وحفره في أسباب عدم اكتمالها، حيث نادى بضرورة أنسنة التكنولوجيا وتوجيهها لتلبية مطالب الأفراد في العالم المعيش نظراً للطلب المتزايد على التكنولوجيا في الفترة المعاصرة، وعلى اعتبار أن الأمل هو مفتاح التفاؤل يتأمل في إعادة الاعتبار للبعد الإنساني والقيم الأخلاقية في عصر التقنية والآلية رغم طغيان الاستلاب واغتراب الأفراد عن بعضهم، كما يستند فروم على فن الحب من أجل استرجاع فن العيش وذلك من خلال موازنة التقنيات الناجمة عن المجتمع الصناعي مع المعايير الأخلاقية في بعدها الإنساني من أجل تحقيق معرفة إنسانية عقلانية دون الاستناد إلى العقل الأداتي.

نستنتج من خلال تحليل فروم لمخلفات الحداثة أنّ التكنولوجيا بدون أنسنة تصبح تهديداً مباشراً للمجتمعات الغربية ولا بد من إعادة دراسة سيكولوجية الأفراد المعاصرة من أجل إنقاذ الأجيال اللاحقة ومن أجل تحقيق مجتمع سوي ينبذ فروم كل أنواع الاغتراب، ويدعو إلى إتقان فن الحب من أجل حياة أكثر إنسانية، رغم أن فروم رحل عن هذا العالم إلا أن أفكاره لقت نصيبها من القراءات والتحليلات من عند الكثير من المفكرين، وهذا ما نلاحظه من خلال التطورات الراهنة إلى غاية ما بعد المجتمع الصناعي والتطور الرقمي وتداعيات الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence)، نجد أن أفكار فروم وكأنها استشراف دقيق للمستقبل بحيث تمكنت التكنومعلوماتية بالسيطرة على المفاهيم الإنسانية وحلول الآلة بشكل شامل وفسيح مكان الإنسان وهو ما استدعى دراسة تحليلية أخرى للسيطرة على العصر الراهن أو لنقل عصر الآلة والذكاء الاصطناعي ألا وهي فلسفة المعلومات في المجتمع لما بعد صناعي وبهذا تكون التكنولوجيا خطراً مهدد بشكل مباشر أو كما يصرح بيتر فيلمنغ (Peter Fleming) بأن "الأسوأ لم يأت بعد".

وتشمل توصيات البحث ما يلي:

نظراً للتطور الرقمي الذي بلغه المجتمع لما بعد صناعي ندعو إلى استلهام أفكار إريك فروم وأخذها بعين الاعتبار كونها دراسات نقدية بناءة والدارس لفلسفة فروم سيجد أنها قراءات استشرافية لتطورات ما بعد الكمبيوتر خاصة وأن القرن الحادي والعشرين يشهد ثورة تكنولوجية معلوماتية بوتيرة متسارعة في الأداء، ناهيك أن الذكاء الاصطناعي أصبح حديث الساعة وتعبير دقيق لقد فرض وجوده فرضاً صارماً في كل المجالات خاصة الاقتصادية والسياسية (العسكرية)، لهذا نجد أن فكرة أنسنة التكنولوجيا فكرة رصينة للتعامل مع عصر المعلومات وخدمتها لصالح الإنسان وليس إلغاء مكانه خاصة البعد القيمي والأخلاقي.

وفي الأخير نختم ورقتنا البحثية بكلمات الطبيب السويسري باراسيلسوس: " من لا يعرف شيئا لا يحب أحدا... ومن لا يستطيع أن يفعل شيئا لا يفهم أحدا، ومن لا يفهم شيئا لا قيمة له. ولكن من يفهم فإنه أيضا يحب ويلاحظ ويرى ... وكلما ازدادت المعرفة بشيء، عظم الحب ... وأن أي إنسان يتصور أن جميع الثمار تنضج في الوقت نفسه الخاص بنضج الفراولة لا يعرف شيئا عن العنب".

6- الهوامش:

- 1 إريك فروم، حب الحياة .. نصوص مختارة ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط1، 2016، ص 43.
- 2 ينظر: إريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1972، ص 11.
- 3 إريك فروم، الإنسان المستلب، وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، الرباط، 2003، ص 47.
- 4 ينظر: إريك فروم، كينونة الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013، ص 18.
- 5 إريك فروم، تشريح التدمير البشرية، الجزء الأول، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 2006، ص 36.
- 6 إريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، ص 32.
- 7 ينظر: مصدر نفسه، ص 35.
- 8 إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، الإسكندرية، د ط، 2003، ص 38.
- 9 راينر فونك، إريك فروم شجاعة الإنسانية، ترجمة لؤي خزعل جبر، دار سامر للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2022، ص 35.
- 10 ينظر: وائل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس "دراسة تحليلية نقدية"، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013، ص 9.
- 11 ينظر: إريك فروم، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010، ص 15.
- 12 ينظر: راينر فونك، إريك فروم شجاعة الإنسانية، مرجع سابق، ص 85.
- 13 إريك فروم، حب الحياة نصوص مختارة، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، ط1، 2016، ص 62.
- 14 سورة البقرة، الآية 195.
- 15 إريك فروم، فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، د ط، 2000، ص 6...11.
- 16 إريك فروم، حب الحياة نصوص مختارة، ترجمة حميد لشهب، مصدر سابق ص 58.

7. قائمة المراجع:

- *القرآن الكريم، رواية ورش عن الإمام نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2019.
- 1. إريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1972.
- 2. إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، الإسكندرية، د ط، 2003.

3. إريك فروم، الانسان المستلب، وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، الرباط، 2003.
4. إريك فروم، تشريح التدمير البشرية، الجزء الأول، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 2006.
- 5 إريك فروم، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010.
6. إريك فروم، حب الحياة نصوص مختارة، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، ط1، 2016.
7. إريك فروم، فن الحب بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، د ط، 2000.
8. إريك فروم، كينونة الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013.
9. راينر فونك، إريك فروم شجاعة الإنسانية، ترجمة لؤي خزعل جبر، دار سامر للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2022.
10. وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس "دراسة تحليلية نقدية"، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013.